بقلم : ارسكين كالدويل

ترجمة :

منيرة عبد الجواد دكروري

كانت مسز جارلى تجلس متصدرة مائدة الطعام تشرب القهوة وتقرأ الجرائد بعد تناول الافطار عندما سمعت صوت احد الاطباق يقع ويتحطم على ارضية المطبخ . كانت تجلس وحيدة فى الحجرة ، لقد تناول النزلاء الطعام وانصرفوا وكذلك غادر مستر جارلى المنزل .

وعندما جرت السيدة جارلى الى المطبخ ودفعت بالباب ونظرت الى الداخل ، كانت ليسي ، الطفلة الزنجية الصغيرة ، ترتعد فزعا فى احد الأركان خلف الموقد .

وقالت مسز جارلى .

ـ اذن فقد كسرت طبقا آخر من اطباقى ! هل فعلت ؟

واخذ غضبها يشتد ، وكلما طال وقوفها وتطلعها لليسي ، كلما ازداد غضبها واوشكت على الجنون .

ـ « وهكذا يصبح ما كسرته خلال هذا الشهر باليسي طبقين ، وهذا كثير على ، اكثر مما أستطيع السكوت عليه . »

اخذت الطفلة الزنجية ذات التسع سنوات تتحرك بوصة بوصة مبتعدة اكثر الى ركن الغرفة . ولم تكن تعرف مطلقا ما الذى يمكن ان تفعله بها مسز جارلى ثانية .

وصاحت فيها السيدة

ـ تعالى هنا الى وسط الغرفة باليسي ، تعالى هذه اللحظة وانا اكلمك .

تقدمت الفتاة بضع خطوات وجسدها كله يرتعد وهى ترقب مسز جارلى ، وعندما وصلت الى منتصف الطريق الى وسط الغرفة ، جرت اليها مسز جارلى وصفعتها على جانبى وجهها ، ولقد جعلتها الصفعات تحس بدوار ولا تدرى اين هى او ماذا تفعل ، ولفت ذراعيها حول راسها لتتقى الصفعات . وصاحت فيها مسز جارلى

ـ ايتها الزنجية الصغيرة الفتنة !..

وقبل ان تتمكن ليسي من الهروب الى الركن خلف الموقد ، اختطفت مسز جارلى المكنسة واخذت تضربها بها بكل قوتها على راسها وكتفيها وظهرها. وبدات الطفلة فى الصياح وارتمت على الارض وركلتها مسز جارلى وهى لاتزال ملقاة على الارض تنتحب وترتعدوصاحت فيها مسز جارلى وهى تضع المكنسة جانبا .

ـ الآن ، هيا انهضي من مكانك وابدئى فى تنظيف البيت ، اريد ان اجد كل غرفة من هذا المنزل نظيفة تلمع كالمرآه قبل الساعة الثانية عشرة .

وتركت المطبخ وذهبت الى مدخل البيت .

لقد شكت ليسي من العمل ، شكت من غسل الكثير من الاطباق وتنظيف العديد من حجرات المنزل . قالت انها تتعب اكثر من اللازم من تنظيفها كل يوم ، ولقد صفعتها مسز جارلى لكل كلمة تفوهت بها وقالت لزوجها :

ـ اذا هربت هذهالزنجية فسأجلدها حتى لايتبقى منها شيء .

فقال مستر جارلى

ـ لا يمكنك توقع الكثير منها ، انها ليست كبيرة بالقدر الكافى للقيام بأعمال شاقة كثيرة .

فقالت زوجته

ـ انك تتحدث كما لو كنت تدافع عنها ، انى اطعمها واكسيها وآويها ، واذا لم تقر بالفضل من نفسها فسأجعلها انا تعترف به .

وهربت ليسي . هربت ليسي وعرفت مسز جارلى انها هربت . ولقد توقعت ان يحدث هذا ، ولكنها عادت واعتقدت انها قد اخافت الصبية بالقدر الذى يكفل بقاءها بالمنزل . لقد احضروا ليسي الى المدينة من الريف عندما كانت فى الرابعة من عمرها . وطوال السنوات الثلاث الماضية قامت بكل اعمال البيت .

وقال جارلى

ـ لقد حان الوقت لتدعيها ترحل . فان تستطيعى ان تحتفظى بها طويلا بعد ذلك دون ان تدفعى لها اجرا .

ـ ها انت ذا تعود ثانية للحديث نيابة عنها ، انى ادفع لها اجرها طعاما وفراشا وهذا كل ما يجب ان تنال . ولن ادفع لها سنتا بالاضافة الى ذلك .

هز جارلى راسه وهو لا يزال غير مقتنع . كان خائفا من شيء واحد ، ان تحدث بعض المتاعب اذا احتفظوا بها وقتا آخر ، فكل فرد فى المدينة يعرف انهم يستبقون ليسي لتقوم بالعمل ، وقد يفكر احد الاشخاص ان يسبب لهم بعض المتاعب . وزوجته تكلف الطفلة بأعمال اقسي من ان يقوم بها شخص بالغ .

ـ حسنا . اريد ان تعود ليسي ، اريد ان تحضرها لى ثانية ، اريدها ثانية حتى صباح غد ، قبل وقت الافطار .

نظر جارلى الى زوجته ولكنه لم يقل شيئا ، فهو يعتمد عليها فى معيشته ، فبدونها هى والنزل لما عرف ما الذى يمكن ان يقوم به ، انها تدير النزل وتدفع « الفواتير » وعندما تكلفه بعمل شيء لا يستطيع ان يقول انه لن يمكنه القيام به.ونهض وسار فى البيت متجها الى الشرفة الخلفية .

خلف المطبخ كانت توجد حجرة صغيرة ذات طول وعرض كافيين فقط لأحد شطرى سرير شق خصيصا لليسي . ولم يكن بالحجرة اشياء كثيرة ، فلا شيء سوى السرير . والآن لا شيء آخر ، حتى الثوبان او الثلاثة الذين

صنعها زوجته لليسي من بعض ثيابها القديمة قد اختفت . لقد هربت ليسي ولا يوجد شيء يشير الى انها تنوى العودة . لقد اخذت كل ما تملك .

وعندماراى جارلى زوجته بعد نصف ساعة استوقفته فى الردهة ويداها فى وسطها وصاحت فيه .

ـ حسنا ! هل تتوقع ان تجدها مختبئة تحت احد المقاعد فى مكان مافى المنزل ؟

فسألها

ـ واين يمكننى البحث عنها ! وانى لى ان اعرف آية طريق سلكت ؟

فقالت مسز جارلى

ـ وكيف اعرف ؟ لو انى اعرف لذهبت الى هناك وعثرت عليها بنفسي ، اعثر على ليسي واحضرها لى ثانية حتى وقت الافطار من صباح الغد اذا كنت تعرف ماهو صالحك ... واذا لم تفعل .. واذا كنت لا تعرف ..

اخذ جارلى قبعته وخرج من الباب الامامى ، وسار فى الطريق تجاه حى الزنوج فى المدينة ، كان هذا هو المكان الوحيد المحتمل ان تختبىء فيه ليسي مالم تكن قد ذهبت الى الريف .

وفى الحال ، وبمجرد ان عبر اول بيت زنجى فى الحى ، انتاب جارلى شعور بأن كل شخص فى الحى يراقبه من خلف الابواب والنوافذ وأركان الابنية . واستدار ملفتا راسه بسرعة ، وحاول ان يضبط احدا يتلصص عليه ، ولم يكن هناك احد فى اى مكان . وبدا المكان مهجورا تماما فقال لنفسه

ـ ما كان فى امكان ليسي ان تعرف احدا من هؤلاء الملونين . انها لم تترك البيت مطلقا ، ولم يحضر احد ابدا الى هناك لرؤيتها ، ولن اندهش اذا لم يعرف احد سواى انا وزوجتى ، انها لاتزال حية ـ لا ، ليس فى امكان ليسي ان تأتى الى هنا بين هؤلاء عندما تهرب .

واستأنف السير محاولا التفكير اين يمكنه البحث عنها . وقرر انه ما كان فى مقدورها الذهاب الى الريف لانها راسها اعمق واعمق تحت ذراعى وعلى كل فالمكان الآخر الوحيد بالنسبة لها لتختبىء فيه هو هذا الحى . واذا لم يجدها هنا ! ولكنه يعتقد انه سيجدها مختبئة خلف امراة زنجية قد تكون آوتها .

كان جارلى قد قرر تقريبا العودة الى البيت وان يخبر زوجته انه قد بحث فى كل بيت فى الحى دون ان يعثر على ليسي ، ولكنه عندما توقف وشرع فى العودة ، بدأ يفكر ثانية فيما ستقول زوجته وتفعل ، وربما تركب راسها وتطرده هو من البيت اذا عاد لها بدون ليسي .

وعندما استدار واستأنف السير فى احدى الحارات وقع نظره على احد البيوت صدفة فطرق بابه وانتظر . لم يكن هناك ادنى صوت فى اية مكان برغم وجود نار مشتعلة تحت اناء غسيل فى الفناء . خطا الى مدخل البيت ونظر الى الداخل . وفى ركن الغرفة كانت تجلس سيدة زنجية ضخمة تتأرجح فى مقعدها الى الامام والى الخلف بلا مبالاة وعلى حجرها تجلس ايسي مختبئةفى ثنايا صدرها . كانت الصبية ملتصقة بالمراة ، مخفية ستكون اخوف من ان تقدم على ذلك . السيدة .

قال جارلى وهو يحملق فيهما .

ـ هالو ايتها العمة جراسي ؟

فسألته العمة جراسي بجفاء

ـ ما الذى تريده من هنا ؟

ـ كنت فقط ابحث

ـ فقط تبحث عن ماذا ؟

ـ حسن ! عن ليسي فيما اظن

ـ لن يفيدك هذا فى شيء ! ستضيع وقتك فقط بالحديث عن ذلك .

ـ الواقع انى لم اكن اعرف اين هى

ـ ولن يفيدك كذلك ان تعرف اين هى انك تستطيع ان تذهب وتخبر زوجتك تلك انها ستبقى حيث هى .

جلس جارلى على مقعد بجوار الباب وقد ضمت المراة الزنجية ليسي بشدة واخذت تهزها الى الامام والى الخلف. ولم تنظر ليسي اليه بتاتا وقال جارلى

ـ الحق ان زوجتى كانت قاسية بعض الشيء على ليسي فى السنوات الثلاث او الاربع الماضية ، اظن انها كانت اقسى قليلا مما يجب ان تكون .

فقالت العمة جراسي

ـ لن تعود الطفلة ثانية لانها ستبقى معى هنا منذ الآن . يجب ان تخجلوا من انفسكم ايها الناس البيض لمعاملتكم الملونين هكذا ، انت تعرف جيدا وتدرك تماما انه ليس من العدل جعل ليسي تخدمكم طوال الوقت دون ان تعطوها سوى قايل من الثياب البالية المصنوعة من ثياب زوجتك القديمة بعد ان تستغنى عنها وما يتبقى من فضلات فى المطبخ .

وتمنى جارلى الا تسرع العمة جراسي بعد ذلك فى الحديث عن الطريقة التى كانت زوجته تصفع بها ليسي وعن ضربها لها بالمكنسة ، وتمنى الا يعرف احد شيئا عن ذلك .

وقالت العمة جراسي

ـ عندما تعود الى البيت ، اخبر زوجتك انى اخذت ليسي وانى سأحتفظ بها ، قل لها ان تأتى الى هنا بنفسها وراءها اذا تجرات ولكنى لا اعتقد انها ستجرؤ لانها تعرف ان ما سأقوله لها سيجعل اذنيها يحمران خجلا ..

نهض جارلى والقى نظرة اخرى على ليسي . لم يدرك ابدا انها صغيرة الى هذا الحد من قبل ، فسمع انها فى التاسعة من عمرها وانها لا تبدو اكبر من طفلة فى السادسة او السابعة من عمرها ، واتجه ناحية الباب ولم يقل كلمة واحدة .

وفى الحارة ، خارج المنزل ، استدار ثانية ناحية البيت . سيحين فى التو وقت العشاء ، ان الوجبات تقدم فى اوقات محددة ونظر الى ساعته ثم اسرع يقطع الشارع فغادر الحى . وفى الطريق الى البيت اخترق قطعة ارض فضاء حتى يتأكد انه سيصل الى البيت فى وقت مناسب قبل الطعام .

كانت زوجته تقف فى الشرفة الامامية فسألته عندما راته

ـ حسن . هل وجدت ليسي ؟

فقال جارلى .

ـ ستعود قبل الافطار . لقد قلت لى ان هذا هو الوقت الذى يجب ان تعود خلاله .

الم تقولى ذلك .

ـ هذا هو ماقلته ، اذا لم تكن هنا حتى ذلك الوقت فيمكنك اذا ان تستعد لتقوم ببعض النشاط فى مكان آخر .

فقال وهو يسرع خلفها مخترقا الردهة الى حجرة الطعام حيث التف النزلاء حول المائدة

ـ سابذل اقصى جهدى

وانسل جارلى الى الحجرة وجلس على مقعده دون ان يلاحظه احد . لقد وصل فى الوقت المناسب ليلحق نصيبه من اول طبق يقدم على المائدة .